النشاط الثقافي في العالم

انكلترا

رسالة من شفيق مقار

المسرح

ماذا حدث للجيل « الغاضب » ؟

متى احسست ـ لسبب ، او لاخر ، قد يكون الميول الاستعراضية، او حب الشهرة ، او التطلع الى الثراء ، او مجرد الكسل وحب الثرثرة ، او بعض هذه الاسباب ، او كلها جميعا . ان الحرفة التي يلذ لك ان تحترفها هي حرفة «الفن» ، ، ولم يكن لديك ذلك النبع الداخلي الذي يجيش ويغلي في اعماق النفس ، ويعلو ، ويندفق ،كما تنبثق الينابيع الساخنة من اغوار الارض ، فأي شيء تفعل لكي تحترف الفن ؟ تركب موجة حماس آني ما يكون سائدا حولك كما تسود موجات الموضة في دنيا الازياء ، او ـ اذا كنت بارعا وذا حساسية خاصة لالتقاط ما يريده الناس ـ تفتعل لك موجة تركبها . لكن الموجة ما تلبث ان تخذلك وتنحسر من تحتك .

ذلك شيء يحدث في كل زمان ومكان . وقد عايشناه وتوقعنا النهاية الاسيفة التي انتهى اليها في مصر حيث باخت ونفقت موجة المسرح التي ركبت موجة « المجد والخلود » قبل ان تدهمها الاحداث وتكشف زيفها وزيف ما ركبته . وها نحن نشهد نهايته الاسيفة في المسرح الانجليزي ايضا .

اين ذهب محترفو مسرح الغضب ؟ انفثأ غضبهم فيما يبدو ـ وخمدت نيرانهم ، وادار لهم الجمهور البريطاني ظهره مثلما ادار النقاد ظهورهم . جون اوسبورن الذي استمدت الموجة كلها ذلك الاسم من مسرحيته « انظر وراءك في غضب » ، تحول ـ كما تحول قرناؤه في اماكن اخرى ـ الى مقتبس ، وقد راقت له تلك اللعبة ـ فيما يبدو ـ بعد ان اقتبس « توم جونز » للسينما ، فاقتبس مؤخرا «كوريولانوس» المعدودة ـ بعد « تيمون الاثيني » من اسوأ مسرحيات شيكسبير ، و« دوريان جراي » ، « حدوته » اوسكار وايلد التي سبق ان ابتذلتها هوليوود بطريقتها المعهودة . وما زال اوسبورن ينتظر ان يقبل مسرح من مسارح لندن احدى مسرحيته . ولقد كان ذلك امرا متوقعا ، في حالة اوسبورن (ولقد تساءلنا من قبل « ما الذي يغضبه كل هذا الغضب ؟ » ، لا لانه لا يوجد هنا ما يثير الغضب ،بل لان غضب صاحبنا اوسبورن بدا لنا مجانيا ، وغير مقنع ، منذ البداية)،وهو مصير ماثل ابدا بالنسبة لكل من هم على شاكلة اوسبورن . فالرجل ـ منذ البداية ـ كان صانعا ، ولم يكن مبدعا : لم يخلق شخوصا حية تتفاعل وتعاني وتنطق فتفصح عن حقيقة انسانية ما ذات قيمة اخلاقية وجمالية ، ولم يبدع فنا ،بل وضع مجموعات (متقنة الصنع) من الدمى ، وحركها بتمكن على المسرح ، ليجعلها تنطق (كاشرطة الات التسجيل) باقوال كانت الغاية القصوى منها اظهاره بمظهر الرجل المثقف صاحب الافكار والاعتراضات الهامة .وذلك ما سبقه اليه برنارد شو ، ايام موجة الفابية ، عندما كان اوسكار وايلد وجيله من « الغاضبين » يركبون موجة الجديد . لكن شو كان من الصدق مع نفسه ومع الغير بحيث جاهر بأن مسرحياته لن تعود تثير اهتمام احد بعد جيل او جيلين ، لان كل ما تناقشه من قضايا وافكار سيكون قد بات من المسلمات التي لا يتناقش حولها احد . وقد صدق تنبؤ شو ، ولم تبق من مسرحياته الا « بجمائيون » ، وهي الوحيدة من اعماله التي وجد مديرو المسارح البريطانية امكانية لاحيائها عندما اضطروا للجوء الى شو وغير شو ، في قحط الموسم الماضي. غير ان شو ـ مع ذلك المصير الذي لحق باعماله بعد موته ـ ظل حيا ـ كفنان ـ ولم يندثر ،حتى مات ، بينما يموت فنانو الغضب الان تحت السمع والبصر وهم في سن كان من المنتظر ان يقولوا فيها افضل ما عندهم ، لو كان عندهم ما يقال .

وها هو ارنولد وسكر ـ رغم ما بدا واعدا به ايام « البطاطس مع كل شيء » ـ يواجه نفس المصير المعتم . فقد استقبل النقاد مسرحيتيه الاخيرتين :« الاصدقاء » ، و« كبار السن » اسوأ استقبال ، ورفضت مسارح لندن مسرحيته اللاحقة ، « الصحفيون »، فاذا به ينتابه ذعر من الفشل والانطفاء ، ويهرول الى حيث يعلم كل كاتب اوربي انه مستطيع ان يجد الملاذ .. بثمن : في حضن اليهود ! لكن وسكر ليس بكل هذه السذاجة . فهو لا يقدم على لعق احذية اليهود (وهو ليس الاول في ذلك ولا الاخير .. فذلك طابور طويل ينتهي امر السواد الاعظم من كتاب الغرب بالانتظام فيه) بغير حيلة او حيلتين تحفظان عليه ماء وجهه ، وتحفظان عليه سمعته القديمة ككاتب « غاضب » ـ يا حول الله ـ خاب امله في اشياء لا حصر لها ولا عدد : في الاخوة الانسانية ، والنعيم الاشتراكي ، والصداقة ، والحب ، والزواج ، والحكومة ،وهو ـ لذلك ـ يحرص بينما يشير بيده الى اليهود مستغيثا مستجيرا من الاندثار ، على الاحتفاظ بعباءته القديمة . وبعملية حسابية بسيطة ، وجد وسكر ما يغضب منه هذه المرة :

اليهود اناس طيبون . وهم ـ في اغلب الاحيان ـ رجال مال واعمال ، ومرتبطون في الذهن الغربي بالرأسمالية . عال . نجد لنا موضعا في اجسام اليهود نلعقه ، ونناوش الرأسمالية . لكنه ما دام اليهود يهودا ، وبالتالي اناسا طيبين ، فلا بد ان يكونوا ايضا رأسماليين طيبين . وهكذا كان . ولكن من اين يأتي الكاتب المستجير من الاندثار بالمادة الحية التي يصنع منها تلك الكعكة ؟ لا مادة هناك. لانه لا يوجد في النبع الداخلي شيء . فلنلجأ الى الاقتباس اذن . ويذهب وسكر رأسا الى دستويفسكي ، فيستعير منه قصة موباسانية بعض الشيء ، ليست ـ على وجه اليقين ـ من افضل قصصه ، بعنوان « ورطة غير مستحبة » ، ويقتبس منها مسرحية بعنوان :« حفل الزفاف » ، يجعل بطلها رجل اعمال يهوديا ثريا لديه مصنع احذية، اسمه لويس ليتفانوف . فهو رجل رأسمالي ، لكنه رأسمالي يهودي رحيم ابوي النزعة ، يحب عماله حبا يفوق الوصف (الم يحس وسكر بالسخف وهو يكتب هذا ؟) ويتوقع من عماله ان يبادلوه حبا بحب، وجوى بجوى ، لكن الظروف اللعينة ضد ذلك الرأسمالي اليهودي الخيّر ، او لنقل انها تناقضات النظام الرأسمالي خيبه الله (ولا ننسى ان وسكر بدا غاضبا واشتراكيا ورديا) . وهكذا فان كل ما يفعله العم ليتفانوف الطيب ينقلب وبالا عليه ، لان تناقضات النظام الرأسمالي تجعله في واد وعماله في واد . ويبلغ الامر ذروته عندما يقدر الرجل، من طيبة قلبه ، ان يذهب فيحضر حفل زفاف احد مستخدميه ، فلا يفلح الا في احراج اصحاب الحفل واثارة ضيقهم ومقتهم له ، وينتهي

الامر بـان يتكاثروا عليه ويضربوه (انظر فقط الى هذا التفسير البارع لما يثيره اليهود من مقت حيثمـا ذهبوا) متظاهرين بانهم يؤدون لعبـة تنطوي على طقوس شعائرية (ووسكـر هنـا يحتفظ بسمـة من سمـاته القديمة ، وهي الولع باستظهار الجانب الشعائري في سلوك الناس)، ولعل اولاد الحرام كانـوا منتهين الـى قتل اليهودي المسكيـن حسن النيـة لولا تدخل سكرتيرته التي تنقذه في اللحظـة الاخيرة ، وتاخذه الى حيث تداوي جراحه ، وتمسح الدم الذكي الذي اراقوه علـى وجهه ، وهي تحنو عليه وتدفئه بحبها ، وتزجي اليه النصح بان يكف عن خطب ود اولئك الناس ، مكتفيـا بان يدفعلهم الاجر العادل الـذي يستحقه عملهم ، وان يوهمهم في الوقت ذاته ـ مجرد ايهام ـ بانهـم يستمتعون بالمساواة التي يحلمون بهـا .

وبهذا يرضي وسكر الجميع ، وعلى راسهم اليهود ، بطبيعةالحال. فشخصيـة اليهودي هنا تدحض شيلوك شيكسبير وتمحوه محوا (او هذا ما قد يعتقده وسكر) : شخصيـة يظهرهـا المؤلف « الشاطر » محببة، لطيفة ، دمثة،ومظلومة اذ يسيء الاخرون فهم دوافعها النبيلة ومقاصدها السامية ، جديرة بالحب والتبتل اللذيـن تصبهمـا عليهـا السكرتيرة الواعية . وفي الوقت ذاته ، لا يغضب وسكـر الاشتراكيين : الا يظهر لهم على المسرح تناقضات النظام الراسمالي التي تجعل كل تراحم بيـن البشر ضربا من المستحيل ، تماما كما قال برخت في « امراة ستشوان الطيبة ؟ بـل الم يسر على خطى برخت حتى في الصنعـة المسرحيـة واستخدام الراوية ؟ ولا يغضب وسكر اليمينيين واصحاب الاعمال (ربما لان معظمهم يهـود او لهم شركاء يهود) : الا يظهـر لهم العمال علـى المسرح بهذه الصورة المتعبة من الحرونة ، والعدوانية ، والتشكك ، واساءة الظـن ، والعناد ، بل الا يظهـر لهم العمال في الحفل افظاظا، مخمورين ، واهل صخب وشجار ؟ ما الذي يريدونه جميعا من وسكر ؟ ان يظل متابطا مسرحياته التـي اقفلت في وجهها المسارح الانجليزية، دائرا بهـا على المسارح الاقليمية في بلدان القارة ؟

لكنه لا حاجـة باحد ان يثقل الوطء على الرجل . فانت فيالغرب، لكـي تعيش ، يجب ان تسجـد للشمس الصاعدة ، تمامـا كما يجب عليك ، فـي شرقنا ، ان كنت تريـد ان تعيش ، ان تسجـد للشمس القاعدة . لكنمـا يبقى بعـد كل التهجد والسجود لمن يحتكمون فـي خزائن المال ومفاتيح الشهرة من اليهود ،في الغرب ، او غير اليهـود في الشرق ، ان يثبت الكاتب انه مستطيع البقاء بفنه ، فانـه مستطيع ان يقول شيئـا ذا مغزى ، وان يضيف جديدا . ولـه بعد ذلـك ان يتحمس ويغضب مـا يشاء له الحماس والغضب ، شرط ان يكون ذلك لشيء يقنعنـا انه مستحق ان يغضب الكاتب له اخلاقيا وانسانيا .

واغلب الظن ان وسكر ، مهمـا استجار باليهود ـ لن يستطيع ذلك، لا هو ولا سلالة « المحتدمين غضبا » ،حتى هارولد بينتر ، الذي اجاد فعـلا في بعض اعماله السابقة ، وجون آردن ، وادوارد بوند ،واغلب الظـن ايضـا ان اولئك المسرحيين الذيـن لمعوا زمنـا ثم انطفاوا ، وطويت صفحتهم فعلا في وطنهم ، قد يظلون قادرين على البقاء ـ فنيا ـ لبعض الوقت ، على بعض مسارح القارة، التـي تفتح لهم ابوابها ، في الاقاليم غالبا والعواصم احيانا ، وتعرض اعمالهم .. ولكـن كنمـاذج فقط ، وبعدهـا سينتهي امرهم تمامـا .

* * *

الساحـة الخاوية .. اولا شكسبير :

والواقع ان المسرح البريطاني يبدو الان كالساحة الخاوية .. لولا بعض اعمال القدامى العظام ، خاصة شيكسبير ، ومارلو ، وبعضالاعمال الوافـدة مـن القـارة .

فلننظر ما ظلت مسارح لندن تعرضه من اعمال طيلـة الشهـور الماضية ، وما تعـد لعرضه من بدايـة موسم الخريف . مسرح « صاحبة الجلالة » يعرض «هنري الرابع»، لبيراندللو ، بطولـة الممثل العظيم ركس هاريسون . مسرح « البيري » يعرض « بجماليون » ، لبرناردشو. مسرح « البيكاديللي » يعرض « عربة ترام اسمهـا الشهـوة » ، لتنيسي ويليامز ، بطولة كلير بلوم ، الاولدفين يعرض « العاصفة »،لشيكسبير، غيـر المسرحيات « الدائمة » التي يستمر عرضهـا شهورا وسنوات ، كمسرحية سومرست موم ، « الزوجة الوفية » بطولـة انجريد برجمان، ومسرحيـة رودجرز وهامرستين الموسيقية « الملك وانا » التـي اخرجت في السينمـا بعنوان « انا وملك سيام » .

والواقع انه كما راجت احوال الافـلام الموسيقيـة في السينما ، « سيدتي الجميلة » ، و « صوت الموسيقى » وما اليها ، والانمغامرات « هكليري فين » ،لمارك توين ، نجحت المسرحيات الموسيقيـة نجاحـا منقطع النظير ، ولعل اجدرها بالذكر : « الشعر » (Hair) و«المسيح سوبر ستار » (Jesus Christ Superstar) ،و «عرض روكي للاهوال » (Rockey Horror show)

ولا تنافس المسرحيات الموسيقية على مسارح لندن الا مسرحيـات واستعراضات العري والجنس ، في محاولـة مستميتة (وغير ناضجـة فيما يبدو) لمنافسة السينمـا في هذا المضمار : مسرح كامبريـدج « ٢+٢ = جنس » . مسرح « الدوقـة » « اوه كالكوتـا ! » التي حولت ايضا الى فيلم يحقق ارباحا خيالية في الوست انـد . مسرح « وايتهول » ، « نصف البيجامة العلوي » . مسرح « الروبالتي » : « الروبالتي فوليز » .. على غرار الفولي برجير الفرنسي الاشهر .

وجنبا الى جنب مع مسرحيات الجنس واستعراضات العـري، المسرحيات البوليسية : « بوليس سري » التي استمر عرضهـا حتىالان خمس سنوات كاملـة على مسرح فورتشن .« مـن الذي رآه يموت ؟» ، على مسرح الهاي ماركت . « شرلوك هولز » لسيـر آرثر كونان دويل، على مسرح الالدويتش ، وستنتقل قريبا الى الولايـات المتحدة ، مـن فرط النجاح الساحق .

ونحـن نسوق عناويـن هذه المسرحيات ، بمختلف انواعها ، علـى سبيل المثال لا الحصر ، فهي اكثر من ذلك بكثير . وبوسعك ان تتوه بين مسارح لنـدن بحثا عـن اللهو ، او المتعـة ، او الاثارة ،او الترفيه ، حائرا لا تعلم اي مسرح تدع واي مسرح تختار ، وتزيد حيرتك عشرات المسرحيـات الكوميدية الخفيفة الراقية ، ونصف الراقية ، والواطئة (التي تفخـر بانهـا كذلك في اعلاناتها)، فيدور راسك . لكنك لا تجد في كل ذلك ما تبحث عنه ، ان كنت تبحث عمـا هو افضل ـ وبمقاييسك انت ـ امتع . وعندمـا تذهب باحثا عـن ذلك الافضل والامتع (كـم يذكرنا ذلك بمسرح الحكيم) قـد تحفى قدماك قبل ان تعثر على مـا تبحث عنه ، اللهـم الا اذا كنت تبحث عـنمسرح وافد من فرنسا اومن غيرها من بلدان القارة ، خاصـة من فرنسا . ولقـد قلنـا فيرسالتنا السابقة ان باريس تجتاح لندن ثقافيا . وليس ذلك في مجال الابـداع الادبي والنقـد الادبي وحدهمـا ، بل في المسرح والسينمـا ايضا .

ولعل الوعي بذلك الخواء ،الذي يندفق الاجتياح الثقافيالفرنسي ليشغله ويملاه ، هـو الذي دفع ادارة الفرقة الملكية الشيكسبيرية الى الاستعداد لموسم الخريف الذي تبداه من منتصف اغسطس القادمببرنامج حافل : « الليلة الثانية عشرة » ، ابتداء مـن ٢٢ اغسطس ، اخـراج بيترجيل ، و« كيل بكيل » ، ابتداء من ٤ سبتمبر ، اخراج كيث هاك ، ثم « ما كبث »العظيمة ،ابتداء من ٢٩ اكتوبر ،اخراج تريفور نن ، على مسرح شيكسبير الملكي بستراتفورد ـ اون ـ ايفون ، مسقـط راس الشاعر العظيم . وعلى المسرح الصغير او « المسرح الاخر » ، كمـا يدعى، بستراتفورد ـ اون ـ ايفون ،سيقدم كيث هاك اخراجا تجريبيا جديدا « للعاصفة » فـي اواخر سبتمبر ،وبعدهـا بقليل ، في الاسبوع الثاني من اكتوبر ، سيقدم توني تشيرش اخراجا تجريبيا لماساة شيكسبيـر الكبيرة « الملك لير » على مسرح (The place) وهو منالمسارح الصغيرة،

او مسارح « الاستديو » ، بلندن . كما ستشهد لندن ، على مسرح الالدويش ، في ١٨ سبتمبر ، « ريتشارد الثاني » ، وقبلها ـ من مطلع سبتمبر ـ سيقدم نفس المسرح « الدكتور فاوستس » لكريستوفر مارلو.

ولكن ـ فيما عدا القدامى العظام ـ ماذا نجد ؟ محاولة ، بنصف قلب ، لاحياء عمل من جيل اوسبورن : « قبل مقدم الليل » لديفيد ردكين ، وهي من اعماله القديمة ، وليست ابداعا جديدا ، على المسرح الصغير بستراتفور ، ولا بأس ، مسرحية جديدة لسنو ويلسون (Snoo Wilson) ،بعنوان « الوحش » (The Beast) على المسرح الصغير بلندن ـ وبعد ذلك ، مسرحيات وافدة : « العم فانيا » لتشيكوف ـ « اهل الصيف » وهي اقتباس انجليزي من عمل لمكسيم جوركي ، و « الرفاق » ، لستريندبرج .

وهكذا يبدو ان المسرح البريطاني يستعد لموسم اخر يعيش فيه ـ اساسا ـ بغير ابداع محلي هام ، معتمدا على عروض تقوم على الكلاسيكيات الكبيرة ، وعلى محاولات لاخراجها تجريبيا ، من جانب اخر . وهو عين ما حدث في الموسم المنقضي الذي كانت ابرز عروضه واهمها فنيا :« دائرة الطباشير القوقازية » ، لبرتولت برخت ، و« الخادمتان » ، لجان جينيه ، وقد عرضت كمسرحية ، وباليه .

برخت :

ولقد كان الموسم الماضي الموسم الثاني الناجح لدائرة الطباشير في صورتها الانجليزية . وقد حذف المخرج « البرولوج » ، واستبدل بحكاية المزرعتين الجماعيتين المتنازعتين قطعة ارض من اراضي البناء في بريطانيا تقام عليها عمارة يطالب بملكيتها العمال الذين يقومون بانشائها ، كما استبدل بالنص الموسيقي الاصلي مجموعة من الحان البوب (Pop) المعاصرة . وربما احس المخرج بوجدانوف ان المسرحية ـ رغم آنيتها الواضحة ، اذ تمس صراعات بدأت تطفو الى السطح ، رغم كل شيء ، في بريطانيا ـ قد تكون ثقيلة الوطء على جمهوره الانجليزي ، رغم الطابع المحلي وموسيقى البوب ، فاسرف في الكوميديا الى حد التهريج احيانا ، وفي بعض المشاهد ترك الحبل على غاربه لممثليه ينكتون ويهرجون ،حتى لقد بدا كما لو كان امين الهنيدي قد جاء من وراء البحار . والاهم من هذا وذاك ان ارضية كنيث تانيان وفيليب توينبي النقدية بدت بصماتها واضحة في الانشغال في العرض بالرؤية الاجتماعية المباشرة لما تطرحه المسرحية انشغالا اضفى تماما المشكلة الاخلاقية الانسانية المتمثلة في صراع « جروشا » والام على الطفل ، وما انطوت عليه تلك المشكلة من دعوة خطيرة : فبمحاذاة القضية الاجتماعية التي تطرحها المسرحية : من الذي يمتلك العمارة؟ اولئك الذين اشتروا الارض والمواد والعمل ، ام اولئك الذين بذلوا عرقهم وبراعتهم في اقامتها ؟ تطرح دائرة الطباشير قضية اخطر : من الذي يملك الحق في الطفل ؟ الام التي ولدته ؟ ام المجتمع (او الدولة) التي ستحسن تربيته ورعايته ؟ ولقد اختفت تلك القضية تماما في العرض وبدا واضحا ان المخرج اعتبرها مجرد تصوير عاطفي (illustration) للقضية الاولى ، وفرصة تتيح له استعراض قدراته في ابراز بطولة جروشا . والذي لا شك فيه بعد كل هذا ان العرض لم يكن ملحميا كما اراده برخت ، باي معيار .

جان جينيه في نسخة مشوهة :

ومثلما بنا ميخائيل بوجدانوف عن مرامي برخت ، وتجاوز عن العديد من اشاداته المسرحية المستفيضة ،في اخراجه « لدائرة الطباشير » ، ضل المخرج ، الذي يبدو من اسمه انه يوناني الاصل، مينوس فولاناكيس ، الذي ترجم « الخادمتان » ترجمة سيئة ، واخرجها على مسرح جرينتش ، ضل تماما عن رؤية جان جينيه (بل وتصوره للعرض المسرحي اصلا) في ذلك العمل المثير للجدل .. كسائر اعمال هذا المؤلف المتعب . وهو متعب للانجليز خاصة ، اذ تقف بينهم وبين عالمه الغريب ، عالم القديس المجرم ، الداعر المتدين تدينا ـ ضدا يرى الحياة من خلاله بكل عنفها ومتعها وشرورها كسلسلة من الطقوس والشعائر . تقول تقف بين الانجليز وعالم جينيه المقلوب هذا اشياء كثيرة ، ليس اقلها اثرا انجليزيتهم العتيدة (ولا نعني لغتهم).ولقد يكون بوسع الانجليز ان يتفاهموا بسهولة مع عالم شاعرهم الدرامي العظيم اليوت ويختلفوا حوله او يتفقوا ، اما عالم جينيه الشعري ، فمسالة اخرى . رغم ان جينيه ليس الا الوجه الاخر لاليوت . وقد كان منطلق الاثنين واحدا : اكتشاف النبع الشعائري لفن المسرح في طقوس القدّاس الكنسي . وكل ما هنالك ان اليوت توقف ـ في رؤيته المسرحية الشعائرية ـ عند الوجه الطوباي ، بينما خلف جينيه ذلك الوجه بازدراء وذهب الى ما وراءه : الوجه الوحشي. واصغ اليه وهو يقول :« ان نبع هذا الفن كان دائما في شعائر القداس. والحقيقة ان ارفع ما توصلت اليه الدراما الحديثة من ابداع قد وجد التعبير عنه ، يوما بعد يوم ، طوال الفي عام ،في طقوس التضحية في ذلك القداس » .

ولو كان المخرج قد توقف قليلا عند هذه الرؤية لكان من المحتمل ان يدرك ـ ربما ـ ان التوتر الدرامي والشعر في«الخادمتان» كما في كل اعمال جينيه ، لا منفذ اليهما في العرض المسرحي الا من خلال التركيز الذكي الحساس على الشعائرية الجنسية ـ الدينية المنحرفة للحدث ، والطبيعة الانشادية المستكنة للحوار التي تقترب به من مشارف الترتيل وتضعه على حافة الصرخات المرتعبة الشبقة الملتاعة الخائفة ، ولكان من المحتمل ان يدرك ايضا انه من خلال الصدام متعدد الاطراف بين الترتيل والطقوس المستغرقة في رؤى الجريمة والتمرد الفارقة في الشبق ، وبين الترانيم والصرخات الموشكة على الانطلاق ابدا (وقد حولتها الممثلة جلندا جاكسون ، في ادائها لدور احدى الخادمتين ، الى ما يشبه الزمجرة والزئير)، وبين الفانتازي والحلم والواقع اليومي المبتذل الدارج الذي يقحمه المؤلف دائما بلمسات حادة سريعة مباغتة ، من ذلك الصدام متعدد المستويات ينبع التوتر الدرامي ، وينبثق الشعر في هذا العمل الصعب حقا .

والمعروف عن جينيه ان من حواذاته المقيمة صراعات الجنسية المثلية . وما من شك ان « الخادمتان » فيها عنصر قوي ـ وجوهري ـ من تلك الجنسية ، الى الحد الذي جعل جينيه يقترح في احدى المرات اسناد ادوارها الى ثلاثة من الرجال .

وذلك هو الجانب الذي لم يفت المخرج في العرض ، فقد ركز عليه تركيزا خاصا مرهقا ، خاصة في المشهد الاستهلالي ، حيث بلغ ذروته فيما قارب ان يكون مشهد اشباع جنسي للخادمتين . لكن كل ما عدا ذلك غاب تماما عن مخرج الجرنيتش ، فافلت العمل منه ، وتسرب من بين اصابعه ، والحقيقة انه ظلم ممثلاته الثلاث (خاصة الممثلة الشهيرة سوزانا يورك) وخذلهن ، كما خذلت مهندسة الديكور العرض كله بديكورها الزخرفي الباذخ بغير مؤدى الذي يبدو انه ادار راس فيفيان مرشانت ، ممثلة دور السيدة ، واستوعبها ، فخرجت من عالم جينيه تماما لتقدم عرضا سيئا لبنت الذوات المدللة . وهكذا خرج العمل كله خامدا ، متعثرا ، رثا في طبيعته ، كانه مسرحية فودفيل رديئة بغير تهريج الفودفيل ، وماتت « الخادمتان » بين يدي المخرج الذي ظلم جينيه وظلم الجمهور الانجليزي معه لانه من يضيع في عرضه منظور جينيه (الشعائري ورؤيته الدينية الضد فحسب ،بل وضيع ايضا كل مضامين العمل السياسة الاجتماعية المستكنة تحت سطحه الشبقي .

وعندما اخذت فرقة الباليه الملكية « الخادمتان » فقدمتها في صورة باليه من اعداد هربرت روس قدمت عملا رومانسيا متحذلقا رغم اقحامها لشخصية رجل ، علها تتعامل مع عالم جينيه عن كثب .

مسرح الليمان :

هل من الغريب اذن ، والمسرح الانجليزي العريق خاو ، لا يفيم اوده الا عمالقته القدامى ، ان تكون من الاحداث الهامة في موسمه الاخير زيارة فرقة وافدة .. ومن اين ؟ من ليمان سان كوينتين بالولايات المتحدة !

ولقد عرفنا مسرح القهوة ، ومسرح الحجرة .. لكن « مسرح الليمان » هذا جديد بحق .. وفي الواقع ممتع .

وليست هذه هي المرة الاولى التي تزور فيها الفرقةبريطانيا، فقد قدمت في العام الماضي عرضا لمسرحية عنوانها « القفص » ابطالها اربعة مساجين : قاتل مجنون لا يقتل الناس فرادى بل يقتلهم جماعات ، ومجرم مصاب بالشذوذ الجنسي ، وملاكم سابق انحرف بعد ان دالت دولته في عالم الرياضة ، ومجرم شاب مصاب بالصرع.

وان كنت من عشاق الواقعية ، فهذه فرصتك لكي تشبع منها وترتوي . ففرقة الليمان هذه (وكل افرادها ومؤلفها منخريجيه) تبلغ بالواقعية الذروة التي ما بعدها ذروة ،في اللغة ، والحدث ، والحوار ، والجو العام ، والاداء . فكانك وانت لاصق بمقعدك ـ وربما متشبث به ، خشية ان تجر جرا الى خشبة المسرح ليقتلوك انت ايضا ـ تنتقل الى عالم الجريمة التحت ارضي فيشيكاغو ونيويورك وتنغمس في التجربة حتى قمة رأسك . وان لم تكن تلك هي الواقعية فأي شيء تكون ؟ ويمكننا ان نقول الان ان حلم النقاد الذين طالما حاضرونا في كتاباتهم عن مباهجها قد تحقق اخيرا باقصى درجات اكتماله على مسرح الينو اند ، بهامستد .

مؤلف الفرقة وصاحبها ومديرها ريك كلوشي (ارقبوا هذا الاسم) مجرم سابق كان محكوما عليه بالسجن المؤبد ، لكنه اطلق سراحه تحت المراقبة من ليمان سان كوينتين في عام ١٩٦٦ لانه الف مسرحية « القفص » هذه ،فكون فرقته ونجح في اميركا ثم جاء يغزو بريطانيا .

ومسرحية هذا العام ذات اسم غريب :« الحائط هو ماما » (The Wall is Mama) وبطلها ديوك مدمن وتاجر مخدرات صغير يختلف مع التجار الكبار فيهرب منهم ويذهب الى حانة وضيعة اسمها « بار الام » (Mother's Bar)(ولا داعي للتفسيرات الميتافيزيقية لان المؤلف ـ في اغلب الظن ـ لم يقرأ فرويد) . تقع صاحبة الحانة، بيا ، في هوى ديوك هذا رغم انها تكتشف من فورها انه محكوم عليه بالاعدام ، لان الجلادين اللذين بعثهما التجار الكبار فياعقابه، يلحقان به في الحانة ويعلنان ، بلا لف ولا دوران ، انهما جاءا ليقتلاه .وتحاول « بيا » ان تقاوم ذلك الحب المقضي عليه لكنها لا تفلح . ثم تظهر على المسرح شخصية جديدة : واعظ اعمى كسيح في مقعد كالمقاعد التي تتحرك بها بعض شخصيات صامويل بكت . لكن هذا الواعظ ليس في فصاحة شخصيات بكت البكماء ، فهو في معظم الامر منزو في مقعده كانه ينتظر صابرا حتى يدفن الجميع .وفي اعقاب الواعظ الاعمى الكسيح يأتي جندي سابق ، ربما من حرب فيتنام ، وملء قلبه كراهية للشيوعيين ، والشواذ ، والهيبيز (وبطبيعة الحال لليهود المساكين . فالشخصية عدوانية وكريهة ، ولا يمكن ان يفوت المؤلف ان يتربح من ورائها فيجعلها تكره اليهود .. والمهم ان يحشر اليهود في السياق والسلام) . وعندما يحاول مومس الحانة ، وهي شاب شاذ ، اغواء الجندي المخمور (لعله نازي ؟) يفشل .. وبعدها تأتي المذبحة .

ولا ندري ان كان هذا فنا جديدا ابدعته اميركا ام لا ، لكن الواضح انه صادق في تصويره لنماذج الحطام البشري الطافية بكثرة ـ دائما ـ على سطح المستنقع . وربما كان ريك كلوشي هذا هو التطور الطبيعي لدامون رينون (Damon Runyon) . والذي يبدو ، على اية حال ، ان مسرح الليمان هذا جاء ليبقى . فعلى مسرح الرويال كورت مسرحية جديدة تجتذب لندن كلها ، مؤلفها اميركي ايضا، هو سام شبرد الذي كتب موسيقاها الروك كذلك ، عنوانها « ناب الجريمة » تجعل من رؤساء العصابات ملوكا كملوك العصور الوسطى يتبارزون كالفرسان ، وعندما ينهزمون ينتحرون كالساموراي . وسام شبرد ليس خريج ليمان كصاحبنا كلوشي ، بل هو عضو في الفريق المسرحي الناجح الذي قدم للمسرح الانجليزي المسرحيتين الموسيقيتين « المسيح سوبرستار » و« عرض روكي للاهوال » .

وحتى المسرح التجريبي انتقلت اليه العدوى ، فمسرحية«الزائر المحترم » لبول بيلي التي تخرجها الكاتبة المسرحية آن جليكو تدور احداثها في مستشفى للمجرمين المصابين بأمراض عقلية وبطلها جورج يجلس ـ بعد ان قتل ابنه وهو جنين في بطن عشيقته واوشك ان يقتل الام مستعيدا حياته في لقطات « فلاش ـ باك » مرتبكة واليمة .

والى رسالة قادمة لنتحدث عن موسم البولشوي العاصف في لندن وما صاحبه من بهلوانيات صهيونية ، وعن اهم افلام الموسم السينمائي .

لندن

صدر حديثا

سبع زنابق على قبر عبد الناصر

للشاعر

حسين حيدر

دار العودة